الفهم الشمولي للنص القرآني وأثره في مواجهة التحولات

د. فرحان سيف الأحمدي د. حسن حميد الغرباوي
جامعة عدن / كلية التربية – عدن
قسم الدراسات الإسلامية

المقدمة:

إن ابرز ما يميز الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) آل عمران آية 110 ،وإذا كانت الأمة الإسلامية قد تميزت بأنها أمة المبدأ العالمي والفكر والمعتقد الصالح لكل زمان ومكان ، وبأنها أمة الأخوة في الدين ، تلك الأخوة التي أسهمت في إ خراج المبدأ والفكر إلى حيز العمل والحركة في مجالات الدعوة، ابتداء من الدعوة بالكلمة وانتهاء بالجهاد والقتال في سبيل الله ، إ ذا كانت الأمة الإسلامية قد تميزت بذلك ، فان الميزة التي نتحدث عنها الآن ويجب فهمها فهما دقيقا هي المنهج الشامل الذي خصها به الله تعالى دون سائر الأمم ، هي أبرز الميزات ، إذ أنها تخرج المبدأ والفكر والتحرك بهما إلى حيز التنظيم والتطبيق .

ومن هنا ندرك أهمية وضرورة التساوق والتلاؤم والتكامل بين الفكر والحركة والمنهج والتنظيم لإظهار الأمة الإسلامية في الصورة التي تجعلها خير أمة أخرجت للناس.

وهذا المنهج الشامل المتكامل يتمثل في (القرآن الكريم)الذي حمل إلى الأمة الإسلامية تبيانا لكل شيء ... وكان وما يزال الهدى والنور في كل أمر وفي كل طريق .. وحما بهذا وذاك البشرى للمسلمين العاملين على نهجه والسائرين على دربه ، فقال تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) النحل /89، إن اشتمال القرآن الكريم على تبيان كل شيء وعلى هداية البشرية إلى الطريق الآمن هو رحمة للبشرية وسعادة لها وفلاح[1].

وإذا كانت حياة الأمة لا تستقيم على جادتها ولا تثمر ثمرتها في ظل عالم يمر بتحولات هائلة ، تقنية وعلمية وطبيعية ، ونفسية بما يسمى بعصر العولمة والأمركة والنظام العالمي الجديد، ومن جراء الصراعات السياسية والفكرية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية المحيطة بأمتنا من كل جانب، قال تعالى (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) البقرة /217.

ومن هذا المنطلق فانه يجب على الأمة أن تحمل الرسالة في ظل هذه التحديات وذلك يتطلب منها تحولا جذريا في الذهنية والعقلية والمنهجية.

ومن المعلوم إن في كل أمة توجد فلسفة لديهم يقيمون على ضوئها نظرتهم الشاملة إلى الإنسان والكون والمبدأ والمعاد والى ما وراء الطبيعة من الغيب والى قضية الألوهية وقضايا الوحي والنبوة وما شابه ذلك،هذه الفلسفة تمثل الأساس الذهني للأمة ولا فرق بين أن يكون مصدرها سماويا فتسمى دينا ، وبين أن يكون مصدرها وضعيا فتسمى فلسفة أو حكمة أو شيئا من هذا[2].

وليس هناك من أهل دين أو فكر أو فلسفة ، يحتاجون إلى المنهج الدقيق لتحديد ملامح واضحة لمسيرتهم ، كالمسلمين في هذه الأيام، لأن ما نرى من تأخر اجتماعي وسقوط حضاري وانهيار عقيدي وأخلاقي ، وإهمال للتربية الإسلامية ، وما نرى من انتشار للأفكار والفلسفات الجاحدة والاتجاهات التي تتناقض مع أصول الإسلام ، ناتج عن عدم وجود منهج إسلامي أصولي شمولي واضح في أذهانهم ، ينور عقولهم ويهديهم سواء السبيل ، بحيث يستطيعون أن يفهموا في ظله إسلامهم وواقعهم المتأخر المزري ، كي لا يقتحم عليهم قلعتهم ،جاهل أو محرف أو مبطل.

ولو لم يكن ذلك كذلك ، ما رأينا وضع النكوص والضنك الذي يعيش فيه المسلمون اليوم، مع أن هذا الدين القويم موجود بيننا والقرآن يتلى ليل نهار، وسيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم تعرض بالمناسبات في كل محفل ومسجد.

وإذا كان سوء فهم المنهج قد أبعد المسلمين عن فهم أمور دينهم، فما بال الفاهمين لحقائق الإسلام ، وما بال الحاملين لهمومه، وما بال الذي يعتقدون أن عليهم واجب النزول إلى الميدان لإصلاح ما أفسد الناس المخربون.

ما بال هؤلاء يختلفون ، ولا يقفون في خندق واحد أمام الكفر والإلحاد والإباحية والماسونية والعلمانية والعولمة والمفاسد الكبيرة ؟

السبب كما نعتقد إن الكثير منهم يجهلون المنهج الصحيح في فهم الإسلام فهما شموليا يكون له من الأثر في فهم الإسلام فهما حقيقيا في أصوله قرآنا وسنة ، يستطيع به أن يدرك الحق بسهولة ، على الرغم من التنوع الفكري الذي يراه عبر مفاصل حركة التأريخ الإسلامي.

وهكذا فإن الفهم الشامل للنص القرآني،كفيل بمواجهة التحديات والتحولات التي يشهدنا عصرنا الحاضر ، لأن القرآن صالح لكل الأزمنة على مر التاريخ ، والذي تكفل الحق سبحانه وتعالى أن يكون عطاء لكل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وفي ضوء ما تقدم جاء البحث ليتناول بعض الأمور ذات الصلة بالموضوع : فعرفت بالتفسير والتأويل لغة واصطلاحا ، ثم ذكرت لمحات من الفهم الشمولي عند النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه و التابعين ، و تطرقت إلى اختلاف السلف في التفسير و هو اختلاف تنوع ، ثم تطرقنا إلى التعبير القرآني ، و البنية في التعبير القرآني ، و مناهج أصحاب التفسير بالأثر، و جملة الشروط التي يجب أن يتحلى بها المفسر ، ثم تطرقنا في المبحث الثاني إلى أهمية الفهم الشمولي للنص القرآني في مواجهة التحولات ، متطرقين إلى فكرة الفهم الشمولي و الشمولية و الواقع المعاصر و ما في هذه الشمولية من مواصفات عقائدية و تشريعية وأخلاقية ، ثم بينا شمولية الشريعة لجوانب الحياة الإسلامية و شمول الإسلام لحياة الإنسان شاملاً جزئياته و تفصيلاته ، و أن الشمول لا يعني إهمال مراتب الأعمال . آخذين بعين الاعتبار التحديات التي تمر بها الأمة الإسلامية والتحولات التي تنتاب العالم بأسره . وصولا إلى الفهم الشمولي للإسلام والذي هو عماد النهضة الدينية والحضارية ومن الله التوفيق والسداد .

و قبل الدخول في بيان الفهم الشمولي لابد من التعريف بالمصطلحات ذات الصلة في تفسير القرآن و تأويله و فهمه و شموليته.

مفهوم التفسير والتأويل:

التفسير والتأويل لغة واصطلاحاً:

أولاً : تعريف التفسير:

لغة: التفسير مصدر فسَّر فهو من مادة (ف.س.ر) وهذه المادة تدل على الكشف والبيان: يقال: فسَّر الشيء إذا بينه فالتفسير هو التبيين قال تعالى: (ولا يأتونك بمثلٍ إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) الفرقان 33.

بياناً وتفصيلاً: وقال في القاموس (الفسر) الإبانة وكشف المغطى كالتفسير والفعل كضرب ونهر[3].

واصطلاحاً:

لقد كثرت فيه أقوال ونستطيع أن نورد ما نراه أقرب إلى الإيضاح عرفه أبو حيان (ت 745 هـ) في البحر المحيط بقوله (علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك)[4].

ثانياً :تعريف التأويل:

لغة: التأويل في اللغة مأخوذ من الأوْل وهو الرجوع قال في القاموس (آل إليه أولاً وقال: رجع، وعنه أرتد... ثم قال: أول الكلام تأويلاً وتأوله دبره وقدره وفسره، والتأويل عبارة عن الرؤيا)[5].

- أنه مشتق من الإيالة ، و هي السياسة يقال آل الرعية يؤولها إيالة حسنة ، و هو حسن الإيالة ، و هو مؤتال لقومه ، مقتال عليهم أي سائس محتكم .

قال زياد في خطبته : قد آلنا و إيل علينا سُسنا و سِسنا.

و أول القرآن و تأوله ، و هذا متأول حسن لطيف التأويل جداً.

قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه : نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله[6].

التأويل في الاصطلاح: له عند السلف معنيان:

أحدهما تفسير الكلام وبيان معناه سواء أو وافق الظاهر أو خالفه فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفان.

ثانيهما هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به. وبين هذا المعنى والذي قبله فرق ظاهر فالذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام كالتفسير والشرح والإيضاح ويكون وجود التأويل في القلب واللسان.

تعريف الفهم لغة:

نقول من لم يؤت من سوء الفهم أتى من سوء الإفهام ، و قل من أوتي أن يفهم ، و رجل منهم سريع الفهم ، و لا يتفاهمون ما يقولون ، و نقول : من جزع من الاستبهام نزع إلى الاستفهام[7].

و الفهم : معرفتك الشيء بالقلب ، و فهمت الشيء عقلته و عرفته، و فهمت فلانا أو أفهمته ، و تفهم الكلام : فهمه شيئاً بعد شيء[8].

تعريف الشمول :

الخمر لأنها تشتمل بريحها الناس ، و قيل سميت بذلك لأن لها عفصة كعفصة الشمال ، و قيل هي الباردة ، و ليس بقوى الشمال : خليقة الرجل وجمعها شمائل.

و قال لبيد:

هم قومي ، و قد أنكر منهم شمائل بدلولها من شمالي

و أنها لحسنة الشمائل ، و رجل كريم الشمائل أي في أخلاقه و من مخالطته، ويقال فلان شمول الخلائق أي كريم الأخلاق ، و أخذ الماء الذي هبت به الشمال فبردته ، و رجل شمول : مرضي الأخلاق طيبها ، قال : أبن سيده أراه من الشمول و هو غير شامل و شملهم الخير شمولاً و أنا بنعمة الله و جمع الله تعالى شملهم، و هو كريم الشمائل[9].

المبحث الأول: لمحات من الفهم الشمولي عند النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه و التابعين:

1- عند النبي صلى الله عليه و سلم:

يقول الحق سبحانه وتعالى في سورة القيامة (إن علينا جمعه وقرءانه فإذا قرأناه فاتبع قرءانه ثم إن علينا بيانه) الآيات17- 19. فهذا إعلان من الحق

سبحانه وتعالى أنه تكفل بالحفظ والبيان، فمن الطبيعي من خلال هذا أن يفهم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم جملة وتفصيلا.

كما كان طبيعياً أن يفهم أصحاب النبي القرآن الكريم في جملته أي بالنسبة لظاهره وأحكامه أما فهمه تفصيلياً ومعرفة دقائق باطنه بحيث لا تغيب عنهم شاردة ولا واردة فهذا غير ميسور. وهذه أمثلة على ذلك.

2- عند الصحابة و التابعين :

لقد بين النبي صلى ا لله عليه وسلم لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: (لتبين للناس ما أنزل إليهم) النحل آية 44، يتناول هذا وهذا، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن. كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما . أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، وقالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً.

ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة. وقال أنس : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جلَّ في أعيننا. وأقام ابن عمر على حفظ البقرة عدة سنين . قيل ثمان سنين. ذكره مالك. و ذلك أن الله تعالى قال: (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته) ص آية 29 و قال تعالى :(أفلم يتدبروا القول) المؤمنون آية 68 ، و تدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن . وقال تعالى: (إنا أنزلناه قرآن عربياً لعلكم تفعلون) يوسف آية 2 ، وعقل الكلام متضمن لفهمه. ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانية دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك وأيضاً فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب وغيره ولا يستشرحوه ، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم و به نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم؟ ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليل جداً، وهو إن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة فهو قليل بالنسبة إلى ما بعدهم.

ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها.

ولهذا قال الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، ولهذا اعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم.

والمقصود أن التابعين تلقوا التفسير عن الصحابة كما تلقوا عنهم علم السنة، وإن كانوا قد يتكلمون في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال كما يتكلمون في بعض السنن بالاستنباط والاستدلال[10].

3- اختلاف السلف في التفسير اختلاف تنوع:

الخلاف بين السلف في التفسير قليل ، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا خلاف تضاد. وذلك صنفان:

أحداهما: أن يعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير صاحبة تدل على المعنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى بمنزلة الأسماء المتكافئة التي بين المترادفة والمتباينة، كما قيل في اسم السيف: الصارم والمهند، وذلك مثل أسماء الله الحسنى وأسماء رسوله صلى الله عليه وسلم، وأسماء القرآن، فإن أسماء الله الحسنى على مسمى واحد فليس دعاؤه باسم في سبحانه مضاد لدعائه باسم آخر بل الأمر كما قال تعالى: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى).الإسراء آية 110.

وكذلك أسماء النبي صلى الله عليه وسلم مثل محمد وأحمد و الماحي والحاشر والعاقب، وكذلك أسماء القرآن مثل القرآن والفرقان والهدى والشفاء والبيان والكتاب وأمثال ذلك ، فإن كان مقصود السائل تعيين المسمى عبرنا بأي اسم كان إذ عرف مسمى هذا الاسم. وقد يكون الاسم علماً وقد يكون صفة كمن يسأل عن قوله تعالى: (ومن أعرض عن ذكري)طه124 ما ذكره؟ فيقال له هو القرآن مثلاً أو ما أنزله في الكتب، فإن الذكر مصدر ، و المصدر تارة يضاف إلى الفاعل وتارة إلى المفعول، فإذا قيل ذكر الله بالمعنى الثاني كان ما يذكر به مثل قول العبد: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . وإذا قيل بالمعنى الأول كما ما يذكره هو وهو كلامه، وهذا هو المراد في قوله: (ومن

أعرض عن ذكري) لأنه قال قبل ذلك: (فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى) طه 123 وهداه هو ما أنزله من الذكر.

الثاني: أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل ، وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه، مثال ذلك ما نقل في قوله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) فاطر آية32.

فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات، والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات، والسابق يدخل فهي من سبق فتقرب بالحسنات مع ا لواجبات. فالمقتصدون هم أصحاب اليمين والسابقون أولئك المقربون. ثم أن كلاً منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات كقول القائل: السابق الذي يصلي في أول الوقت، والمقتصد الذي يصلي أثنائه، والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار. أو يقول: السابق والمقتصد والظالم قد ذكرهم في آخر سورة البقرة، فإنه ذكر المحسن بالصدقة، والظالم بأكل الربا، والعادل بالبيع، والناس في الأموال إما محسن، وإما عدل، وإما ظالم. فالسابق المحسن بأداء المستحبات مع الواجبات، والظالم أكل الربا، أو مانع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة ولا يأكل الربا. و أمثال هذه الأقاويل فكل قول فيه ذكر نوع داخل في الآية، وإنما ذكره لتعريف المستمع بتناول الآية له وتنبيهه على نظيره.

وهذه الصنفان اللذان ذكرناهما في تنوع التفسير . تارة لتنوع الأسماء والصفات، وتارة لذكر بعض أنوع المسمى وأقسامه كالتمثيلات. هما الغالب في تفسير سلف الأمة الذي يظن أنه مختلف.

وفي التنازع الموجود عنهم ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين إما مشتركاً في اللغة كالفظ (قسورة)المدثر آية 51 الذي يراد به الرامي ويراد به الأسد ولفظ (عسعس)التكوير آية 17 الذي يراد به إقبال الليل وإدباره وإما لكونه متوطنا في الأصل لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشيئين كالضمائر في قوله: (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) وكلفظ: (والفجر وليال عشر

والشفع والوتر) الفجر آية 1،2 وما أشبه ذلك، فمثل هذا قد يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف، وقد لا يجوز ذلك.

فالأول إما لكون الآية نزلت مرتين فأريد بها هذا تارة وهذا تارة ، وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنياه ، إذ قد جوز ذلك أكثر الفقهاء المالكية والشافعية والحنابلة وكثير من أهل الكلام، وإما أن يكون اللفظ متواطئاً فيكون عاماً إذا لم يكن لتخصيصه موجب، فهذا النوع إذا صح فيه القولان كان من الصنف الثاني.

ومن الأقوال الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافاً أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة ، فأن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم،وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن الكريم، فإذا قال القائل: (يوم تمور السماء مورا) الطور آية9 ، أن المور هو الحركة كان تقريباً إذا المور حركة خفيفة سريعة

وكذلك إذا قيل: (ذلك الكتاب) هذا القرآن فهذا تقريب، لأن المشار إليه وإن كان واحد فالإشارة بجهة الحضور غير الإشارة بجهة البعد والغيبة، ولفظ (الكتاب) يتضمن في كونه مكتوباً مضموناً ما لا يتضمنه لفظ القرآن في كونه مقروءاً مظهراً بادياً. فهذه الفروق موجودة في القرآن.

والاختلاف قد يكون لخفاء الدليل ، الذهول عنه، وقد يكون لعدم سماعه، وقد يكون للغلط في نهم النص، وقد يكون لاعتقاد معارض راجح[11].

4- التعبير القرآني:

لا خلاف بين أهل العلم أن التعبير القرآني تعبير فريد في علوه وسموه وأنه أعلى كلام وأرفعه. وأنه بهر العرب فلم يستطيعوا مداناته والإتيان بمثله مع أنه تحداهم أكثر من مرة.

لقد تحدى القرآن العرب ثم جميع الخلق بأن يأتوا بمثله ثم أخبر أنهم لن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. قال تعالى: (أم يقولون افتراه قل

فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعمتم من دون الله إن كنتم صادقين) (هود، آية14).

وأكد التحدي بقوله: (قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (الإسراء، 88).

ومن الثابت أن القرآن الكريم كان يأخذهم بروعة بيانه وأنهم لا يملكون أنفسهم عن سماعه ولذلك سعوا إلى أن يحولوا بين القرآن وأسماع الناس. سعوا إلى أن لا يصل إلى الأذن لأنهم يعلمون أن مجرد وصوله إلى السمع يحدث في النفس دوياً هائلاً و هزة عنيفة وقد حكى الله عنهم هذا الأسلوب فقال: (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون) (سورة فصلت آية 26).

إن التعبير القرآني تعبير فني مقصود كل لفظة بل كل حروف منه، وضع وصفاً فنياً مقصود، ولم تراع في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كلمة ومما يدل على ذلك الإحصاءات التي أظهرتها الدراسات الحديثة والتي بينت بوضوح أن القرآن الكريم إنما حسب لكل حرف فيه حسابه وأنه لا يمكن أن يزاد فيه أو يحذف منه حرف واحد.

ومن يدري ماذا سيجد بعد في دراسات القرآن الكريم وماذا سيرى الناس من عجائبه! فإن هذا الكتاب كما قال صلى الله عليه وسلم: (لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد) ثم أن القرآن له خصوصيات في استعمال الألفاظ: فقد اختص كثيرا من الألفاظ باستعمالات خاصة به مما يدل على القصد الواضح في التعبير فمن ذلك أنه:

استعمل (الرياح) حيث وردت في القرآن الكريم في الخير والرحمة، واستعمل (الريح) في الشر والعقوبات قال تعالى: (وهو الذي يرسل الريح بشرى بين يدي رحمته) (الأعراف 57).

وقال: (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته) (الروم 46).

ومن ذلك ذكر المطر فإنك (لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام) بخلاف الغيث الذي يذكره القرآن في الخير ، قال تعالى: (وأمطرنا عليهم مطرا

فساء مطر المنذرين) (النمل 58) (وانظر الشعراء 73). وقال: (أمطرنا عليهم مطراً فأنظر كيف كان عاقبة المجرمين) (الأعراف 84).

في حين قال: (وهو الذي ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحمته وهو الوالي الحميد) (الشورى 28). وقال: (ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) (49 يوسف).

لقد درس التعبير القرآني دراسات مستفيضة وأولى من نظر ما لم ينله نص آخر في الدنيا فقد درس من حيث تصويره الفني فكان أجمل تصوير وأبرع لوحة فنية. ودرس من حيث نظمه و موسيقاه فكان أروع عقد منظوم وأعذب قطعة فنية موسيقية.

ودرس تناسب سوره سورة وتناسب آياته آية آية وتناسب فواتح السور وخواتمها فكان قطعة فنية واحدة محكمة الربط، وكان كما قال الفخر الرازي: إن القرآن كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض بل هو كالآية الواحدة.

ودرس من حيث إعجازه فكانت جوانب إعجازه لا تحصى أهو في أسلوبه وتعبيره أم هو في تشريعه وفقه، أم في معالجته جوانب الحياة المختلفة على أكمل وجه وأبهى صورة، أم هو فيما قرره من حقائق علمية وكونية يكتشف الناس على مدى الدهر قسما منها، أم هو فيما وضعفه من قواعد وأصول التربية ومعرفته بأدواء القلوب والنفوس أم هو كتاب لغة أم كتاب أدب أم كتاب تشريع أم كتاب اقتصاد أم كتاب تاريخ أم هو كل ذلك وفوق ذلك؟!.

عجيب أمر هذا الكتاب!

يراه الأديب معجزاً ، و يره اللغوي معجزاً ، و يراه أرباب القانون والتشريع معجزاً ، و يراه علماء الاقتصاد معجزاً ، و يراه المربون معجزاً ، و يراه علماء النفس و المعنيون بالدراسات النفسية معجزاً ، و يراه كل راسخ في علمه معجزاً.

لقد كشف لهم وهم يبحثون في وجوه إعجازه عن بحار ليس لها سواحل ، وغاصوا في لجج ليس لها قعر، وكل عاد بلؤلؤة كريمة أو عقد نضيم وبقية ثمة خزائن تفوق الحصر[12].

5- **البنية في التعبير القرآني:**

يستعمل القرآن الكريم بنية الكلمة استعمالاً في غاية الدقة والجمال: فمن ذلك استعمال الفعل والاسم، فمن المعلوم أن الفعل يدل على الحدوث والتجدد والاسم يدل على الثبوت تقول : هو يتعلم وهو متعلم. فـ(يتعلم) يدل على الحدوث التجدد أي: هو أخذ في سبيل التعلم بخلاف : (متعلم) فإنه يدل على أن الأمر تم وثبت وأن الصفة تمكنت في صاحبها. ومثله يحفظ وهو حافظ، هو يجتهد، ومجتهد.

وربما كان الأمر لم يحدث بعد ومع ذلك يؤتى بالصيغة الاسمية للدلالة على أن الأمر بمنزلة الحاصل المستقر الثابت وذلك نحو قولك: أتراه سيفشل في مهمته؟ فنقول: هو فاشل وذلك لوثوقك بما قررته أي : كان الأمر تم وحصل و إن لم يحدث فعلاً، ومن هذا الضرب قوله تعالى: (أني جاعل في الأرض خليفة) (30 البقرة) فهو لم يجعله بعد ولكن ذكره بصيغة اسم الفاعل للدلالة على أن الأمر حاصل لا محالة فكأنه تم واستقر وثبت.

فخلاصة الأمر أن الفعل يدل على الحدث والتجدد والاسم يدل على الثبوت والاستقرار وقد استعمل القرآن الفعل والاسم استعمالا فنياً في غاية الفن، فمن ذلك قوله تعالى: (يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذالكم الله فأنى تؤفكون) (95 الأنعام) فاستعمل الفعل مع الحي فقال: (يخرج) واستعمل الاسم مع الميت فقال (مخرج) وذلك لأن أبرز صفات الحي الحركة والتجدد فجاء معه بالصيغة الفعلية الدالة على الحركة والتجدد ولأن الميت في حاله همود وسكون وثبات جاء معه بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات.

وقد تقول: ولماذا قال في سورة آل عمران (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) (27 آل عمران) بالصيغة الدالة على التجدد في الموطنين.

فنقول: إن السياق في آل عمران يختلف عنه في الأنعام، وذلك لسياق في آل عمران هو في التعبير والحدوث والتجدد عموماً ، فالله سبحانه وتعالى يؤتى ملكه من يشاء أو ينزعه منه، ويعز من يشاء أو يذله، ويغير الليل والنهار ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وغير ذلك من الأحداث ، فالسياق كله حركة وتغير وتبديل فجاء بالصيغة الفعلية الدالة على التجدد التغيير والحركة.

في حين أن السياق في سورة الأنعام مختلف وليس السياق في التغييرات وإنما هو في صفات الله تعالى وقدرته وتفضله على خلقه قال تعالى: (إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذالكم الله فأنى تؤفكون . فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم)(الأنعام 96).

فأنت ترى أنه بدأ الآية بالجملة الاسمية وكان مسندها اسماً أيضاً ثم جاء بعده باسمين آخرين هما (مخرج/ الميت) و (فالق الإصباح) ثم ذكر أنه (يخرج الحي) بالصورة الفعلية لما ذكرت من حركة الحي بخلاف ما في آية آل عمرن من دلالة على التغير والحركة. فالسياق مختلف ولذا تتوالى الأفعال في هذه الآية. فوضع في المكان اللائق بها[13].

6- مناهج أصحاب التفسير بالأثر:

قبل الخوض في مناهج أصحاب التفسير بالمأثور فيما انتهجوه في تدوينهم لإيضاح معنى آيات القرآن الكريم، علينا أن نقدم توطئة بين يدي الموضوع.

إن التمييز بين مراحل التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي يجعل الباحث في حيرة من أمره وخاصة في الوقوف على التدوين لكلا المنهجين خاصة وأن معظم الكتب في هذا الشأن قد اندثرت ولم يبق منها إلا النزر اليسير الذي لا يعين على حقيقة هذا الأمر.

إن سمة التفسير بالمأثور كانت هي الغالبة في العهد الأول، ويغلب على علمنا أنها لم تتوقف في أي عهد من العهود بل كان يعول عليها دائماً سواء كان ذلك بالتلقي والتلقين الذي اعتمد عليه أولاً، وإيضاح فيما دون من فمه الشريف صلوات الله وسلامه عليه، على يد عبد الله بن عمرو بن العاص في صحيفته الصادقة.

وأيضاً فلقد حرص كل من سمع أمراً يتعلق بالقرآن بياناً أو شرحاً أو أحكاماً.... أسرع إلى تدوينه، وظل ذلك شغل القوم الشاغل إلى أن أتى عهد التدوين الكلي فكان هذا هو الأساس الذي بني عليه كل ما هو آت.

وهذه المرحلة يمكن أن نطلق عليها (مرحلة التأصيل و التمييز) ولقد كان الطابع الغالب على هذه المرحلة في التفسير هو: التوضيح القريب من الرسول صلى الله عليه وسلم بمعنى أنه عليه السلام يوضح المعنى من أقرب طريق لدى السامع – مستهدفا بيان ما يخاطب به العام والخاص، مع حرصه التام عليه السلام على الإبانة التي تقتضيها طبائع الناس المختلفة وتفاوت مراتبهم في الفهم الفطري. ولم يقف الأمر عند هذا البيان بل قد سار إلى جانب ذلك توضيح الأصول الصحيحة، والحقائق الدقيقة التي حفل بها تفسيره صلى الله عليه وسلم حتى خلد مع الزمن، وتوضيح الأحكام العملية والأخلاق الفاضلة فوصل بمن صدقه إلى مستوى من الرقي لم يبلغه من سبق.

وعليه فإن طريقة التفسير النبوي للقرآن الكريم هي الطريقة المثلى لكل من أراد أن ينحو نحو تفسير منهجي لبيان ما في القرآن وخاصة مجمله ومبينه، مطلقه ومقيده.

واعتقد أنه لا يوجد من يخالجه أدنى شك في أن الصحابة، ومن تتلمذ على أيديهم من التابعين كانوا يتبعون هذا المنهج بالنقل عنه والسير على ضيائه ومنهاجه.

يقول ابن عباس: (الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديواننا فالتمسنا معرفة ذلك منه[14]. ولعلك ترى أن الحلقة ظلت مترابطة لا انفكاك بينهما بالنسبة لتفسيره صلى لله عليه وسلم سواء كان ذلك بطريق التلقي والتلقين أو التدوين الكتابي ، بيد أننا لا نغالي فنقول أنه بين أيدينا تفسيراً كاملاً لجميع معاني القرآن الكريم وألفاظه لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن المعلوم لدى أئمة هذا الشأن أن هناك تفاسير رويت مسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الصحابة والتابعين أغلبها ليس فيه شيء أكثر من التفسير بالمأثور سواء كان ذلك على يد عبد الله بن عمرو بن العاص أو كان على يد سعيد بن جبير(ت 95هـ) فيما كتبه لعبد الملك بن مروان(ت60هـ) أو مقاتل بن سليمان (ت 150 هـ) وأيضاً عبد الرزاق بن همام الصنعاني(ت 211هـ) وغيرهم كثير، وهؤلاء جمعوا أقوال من تقدمهم وصنفوا التفاسير التي ضاع

أكثرها فلم يبق منها إلا كالنزر اليسير. فكانوا بذلك إرهاصا لابن جرير الطبري(ت 310 هـ) الذي يوشك المفسرون من بعده أن يكونوا عالة عليه فيما ساقه من كثرة كاثرة من التفسير بالمأثور.

وإذا أخذنا تفسير الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني نموذجاً لهذا الموضوع فإننا نجده قد اقتصر على تفسير الآيات التي دعت الحاجة إلى تفسيرها مجاراة لمنهج المفسرين في زمانه.

لقد جرى عبد الرزاق على الطريقة المألوفة في عصره من تفسير بعض الآيات التي تيسر له أمر تفسيرها مرتبة غالباً حسب ترتيب المصحف وقد يقدم بعض الآيات على بعض لمناسبة تدعو إلى ذلك[15].

وهذا يدل على أن التفاسير السابقة لم تكن شاملة لجميع آيات القرآن، ومن ثم كان نكير الضحاك على هذه الطريقة، ويدل أيضاً أن المنحى الذي نحاه عبد الرزاق في تفسيره يمثل الاتجاه الغالب على مناهج المفسرين منذ بدء تدوين التفسير.

وسنورد بعض الأمثلة للطريقة التي اتبعها عبد الرزاق في تفسيره للقرآن بالقرآن ففي قوله تعالى (والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الأنعام /82 ، روى عبد الرزاق[16] عن الأعمش أن ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية كبر ذلك على المسلمين، وقالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا وهو يظلم نفسه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس ذلكم أما سمعتم قول لقمان لابنه: (يا بني إن الشرك لظلم عظيم) لقمان /13.

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الأنعام آية 82 ، قال: بشرك ، فأنت ترى من هذا أن أول من أرشد إلى الطريقة المثلى في تفسير القرآن هو النبي صلى الله عليه وسلم وكأن عبد الرزاق أراد أن يبرز هذا المعنى من ناحية أخرى يورد شاهد لصحة ما قاله قتادة.

كما نجده يفسر القرآن بالسنة الصحيحة، فقد روى عبد الرزاق كثيراً من الأحاديث في مقام البيان لمعنى القرآن بالسنة .

ففي مقام التفسير لقوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) السجدة آية 16 ، قال عبد الرزاق عن معمر (ت153هـ) عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي

وائل عن معاذ بن جبل في قوله (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويبعدني عن النار قال: لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه .. الخ[17] ولما كان تفسير عبد الرزاق تفسيراً بالمأثور، فقد نقل عن الصحابة أقوالاً كثيرة في بيان بعض المعاني القرآنية احتراماً منه لهذا المنهج السلفي الأصيل فمن ذلك ما رواه عن عبد الله بن عباس في تفسيره بقوله تعالى (ليس علينا في الأميين سبيل) آل عمران آية 75 ، إن عبد الرزاق قال: عن معمر عن أبي إسحاق الهمداني عن صعصعة بن معاوية أنه سأل ابن عباس فقال: إنا نصيب في الغزو أموال أهل الذمة الدجاج والشاة، فقال ابن عباس فتقولون ماذا؟ قالوا: ليس علينا بأس في ذلك قال: هذا كما قال أهل الكتاب: (ليس علينا في الأميين سبيل)، إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم ، وأيضاً تفسير القرآن بأقوال التابعين، فقد نقل عن عبد الرزاق في تفسيره كثيراً من أقوال التابعين لا سيما قتادة بن دعامة السدوسي(ت117ه)من طريق معمر بن راشد، عن عبد الرزاق عن معمر بن راشد عن قتادة في قوله تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) البقرة / 195 قال: يقول: لا تمسكوا بأيديكم عن النفقة في سبيل الله[18].

7- جملة الشروط التي يجب أن يتحلى بها المفسر:

اختلفت الناس في تفسير القرآن هل يجوز لكل أحد الخوض فيه؟ فقال قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى في تفسير شيء من القرآن، وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشر علماً:

1- اللغة: لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع. قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب.ولا يكفي في حقه معرفة اليسير فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعين والمراد الآخر.

2- **النحو:** لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، فلا بد من اعتباره. أخرج عن أبو عبيد عن الحسن، أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق، ويقيم بها قراءته فقال حسن فتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها، فيهلك فيها.

3- **التصريف:** لأن بها تصرف الأبنية والصيغ قال ابن فارس: ومن فاته علمه فإنه المعظم، لأن (وجد) مثلاً كلمة مبهمة، فإذا صرفناهما اتضحت بمصادرها قال الزمخشري: من بدع التفاسير قول من قال: إن الإمام في قوله تعالى: (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) (الإسراء 71)، جمع (أم) وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون أبائهم قال: وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف فإن (أما) لا تجمع على (إمام).

4- **الاشتقاق:** لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما كالمسيح، هل هو من السياحة أو المسح؟.

5- 6- 7 **المعاني والبيان و البديع:** لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة و حفائها ، وبالثالث وجوه تحسين الكلام ،وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة ، وهي من أعظم أركان المفسر، لأنه لابد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم.

8- **علم القراءات:** لأنه به يعرف كيفية النطق بالقرآن وبالقراءات يتضح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

9- **أصول الدين:** بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرة على ما لا يجوز على الله تعالى، فالأصولي يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز.

10- أصول الفقه: إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

11- أسباب النزل والقصص : إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت منه.

12- **الناسخ والمنسوخ:** ليعلم المحكم من غيره.

13- الفقه.

14- الأحاديث المبنية تفسير المجمل والمهم.

15- **علم الموهبة:** وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بحديث: (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم).

قال ابن أبي الدنيا وعلوم القرآن وما يستنبط منها بحر لا ساحل له. قال: فهذه العلوم. التي هي كالآلة للمفسر. لا يكون مفسرا إلا بتحصيلها ، فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأي المنهي عنه وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأي المنهي عنه[19].

المبحث الثاني: أهمية الفهم الشمولي للنص القرآني في مواجهة التحولات:

1- فكرة الفهم الشمولي الإسلامي:

تميزت الدعوة الإسلامية عن الدعوات السابقة بشمولها، بكل ما للشمول من معان ودلالات، زمانية ومكانية، ونظم حياة للبشرية جمعاء ، مما دفع أحد العلماء للتعبير عن ذلك الشمول بقوله: (إنها الرسالة التي امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة). هذا ما قاله الشهيد حسن البنا رحمه الله تعالى عن شمول الدعوة الإسلامية.

الشمولية والواقع المعاصر:

إن عالمية الإسلام صفة أساسية في هذا الدين بدليل قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء / 107، وقوله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا) سبأ / 28. وعالمية هذا الدين إلى جانب خصائصه الأخرى الإنسانية جعلته ينساب في المجتمعات البشرية انسيابا طبيعياً تتلقفه العقول والقلوب، تؤمن به عن طواعية، وتعتنقه عن قناعة.

لم تكن عالمية الإسلام حالة استكراه للغير، أو نتيجة إلغاء للآخر ذلك أن منهجيته تحض على أنه قال تعالى (لا إكراه في الدين) البقرة /256.

ولم تكن عالمية الإسلام حالة اتساع حربي وهيمنة عسكرية وإنما كانت نتيجة دخول الناس في دين الله أفواجا .ومن خلال ذلك عمت حضارة الإسلام واستمرت

على هذا النحو حقبات طويلة من الزمن بقدر التزام المسلمين بهذه القيم والمواصفات.

- **مواصفات عقائدية :**

من خلال عقيدة التوحيد وقدرتها الاقناعية والفطرية، وما تتركه في النفوس من ارتياح وطمأنينة قال تعالى: (إلا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد/ 28.

فالتوحيد يجسد الانتماء الواحد للخالق الواحد وفيه صفاء للذهن واطمئنان للنفس وانتماء فاعل في هذه الحياة.

أنها عقيدة التوحيد التي تربط الإنسان بالخالق الواحد القادر خالق الأكوان والعوالم ... وبهذا يشعر الإنسان وكأنه مرتبط بالعالم كله فالكل خلق الله تعالى ضمن وحدة متكاملة متجانسة تشير إلى وحدة الخالق.

- **مواصفات تشريعية:**

للشريعة الإسلامية خصائص ومميزات تجعل منها شريعة عالمية تتسع لمتغيرات الزمان والمكان، كيف لا وهي رسالة للعالمين قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء/ 107، وهي من صنع عليم حكيم خلق النفس البشرية ووضع لها ما يجاريها من تشريعات ونظم.

إن التشريع في الإسلام يرتكز على القرآن الكريم وعلى السنة النبوية وهذا ما يميزه بالربانية والثبات والشمول والفطرية، ويعتمد على الاجتماع الذي يربط حركة المجتمع وتطوره بوعي علمائه ومتخصصيه ووحدتهم، وهذا ما يضفي صفة الواقعية ويأخذ بالقياس وهو مصدر عقلي يبحث عن أمر لانص فيه ولا إجماع ويقيسه على أمر منصوص على حكمه أو مجمع عليه،وهذا ما يزيد من مرونة التشريع ومن درجة تلبية متطلبات الواقع المتحرك.

- **مواصفات أخلاقية:**

إذا كانت المواصفات التشريعية تحددها الأنظمة والقوانين وتتشعب لتطال كافة متطلبات الحياة فإن المواصفات الأخلاقية تأتي ملازمة لكافة المواصفات الأخرى لتضيء بدافع إيماني عميق يتجسد سلوكاً وممارسة في حيز التطبيق.

وتتجلى المواصفات الأخلاقية في شتى الميادين:

1- من خلال الخطاب الحضاري والتعامل مع الأمم الأخرى واستعمالها (لهم مالنا وعليهم ما علينا)[20].

2- من خلال الأخلاق الحربية ذات القواعد الإنسانية: فعن أنس رضي الله عنه إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (انطلقوا باسم الله وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)[21].

3- من خلال التزام العهود والمواثيق: قال تعالى: (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) المؤمنون/8.

4- ومن خلال الصدق والأمانة: قال تعالى: (يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) التوبة/119.

هذه المواصفات التي تحققت من عهود متجلية في العصر الإسلامي (عقائدية، وتشريعية، وأخلاقية ...) تعتبر اليوم حاجة ماسة لكافة المجتمعات وتشكل سلم قيم عليا تتطلع إليها البشرية جمعاء على اختلاف مشاربها من أجل مزيد من الإنسانية.

أنها تنطلق إلى الآخر وتتقبله، إنها عالمية الدعوة ،عالمية الانتشار على خلاف النزاعات العنصرية والقومية الضيقة كما في بعض النماذج من العقائد والديانات.

إن هذه المواصفات العالمية – على مستوى النص وعبر الممارسة التاريخية – يجب أن ننقلها إلى مرحلة العالمية في الانتشار وملامسة الواقع يحفزنا لذلك حمى العولمة القسرية التي تطبع العالم بطابعها الحالي.

إن الإسلام هو أول من دعا إلى العالمية وعمل على تحقيقها وفق مبادئه وأخلاقياته، وأذاب في بوتقته العصبيات والقبليات مع الحفاظ على الخصوصيات، أما دعاة الأممية الآخرين فقد كانوا حرباً على كل عناصر الانتماء الأخرى وتراثهم التاريخي والثقافي. واليوم وفي ظل اجتياح العولمة الحديثة يجب إحياء

العالمية الإسلامية من جديد، لتكون الوجه الآخر للعولمة الوجه الناصع المنقى من الشوائب.

وللعالمية الإسلامية ميزاتها التي تمكن العالم الإسلامي من مواجهة تحديات العولمة الطارئة فضلاً عن أن مستقبل العالم الإسلامي في مواجهة تلك التحديات تحدده الاعتبارات التالية:

1- إمكان نجاح المسلمين في إقامة وحدة سياسية واقتصادية وعسكرية فيما بينهم.

2- إمكان نجاح المسلمين في تطوير إمكاناتهم العلمية والتقنية والمالية، والاستفادة ثوراتهم النفطية والميدانية وغيرها.

3- إمكان نجاح المسلمين في التحرر من التبعية لولاء للغير والقوى الأجنبية.

4- إمكان نجاح المسلمين في إعادة بناء أنفسهم كافة تحمل رسالة الإسلام إلى العالمين فهي لا تلتقي بإطلاق زفرات الحوقلة وآهات اليأس والإحباط، وإنما تتحضر وتتهيأ لتكون بديلاً حضارياً يخرج الناس في الظلمات إلى النور.

وهكذا فإن المطلوب الأساسي منا أن لانجزيء الإسلام ، لأن مع التجزئة يأتي سوء الفهم ، ويأتي الباطل والانحراف وسوء التأويل ويحدث التفريق ويتمزق الشرع.

ومن هنا كان لابد للإسلام ، من حيث هو الدين الأخير ، والذي كان يخطط لقيادة البشرية أن يوضح العقيدة الصحيحة ويركزها تركيزا مصيريا واضحا في الكيان الإنساني كله ، بحيث تتضح منهجيته ومذهبيته عن الحياة وتتعمق جذور تفكيره العقلي السديد ، حتى لا يجد انحراف جديد كالانحرافات السابقة إلى مجتمعه وحضارته ودولته سبيلا من السبل .

وهكذا كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو ويجاهد إلى أهم ركنين هما التوحيد والآخرة،حتى لا تتعدد الاجتهادات ، لان الأمة التي تريد أن تنشر لواء الحق وأن تغير العالم وتقيم دولة تحكم بالعدل ، لابد لها أن تكون ابتداء وانتهاء أمة موحدة ، ولذلك نجد القرآن الكريم في المرحلة الأولى في مكة المغلقة

العاتية ، قد ركز على الأركان الثلاثة من العقيدة ، وهي التوحيد والنبوة واليوم الآخر .

نعم إن الإسلام صاغ قاعدة ربانية توحيدية أكمل من أية قاعدة سابقة باقية ، وقدم عقائده بوضوح كامل وبأدلة عقلية وعلمية فطرية مفهومة، ورسخ منهجا واضحا في نقل الإنسان من المحسوس إلى المجرد على عكس فكر اليونان، وبنى بذلك حضارة تعتمد على التجربة ، ولا تؤمن بمجرد الوصف الظاهري ، والقرآن يزخر بآيات كثيرة في مثل هذا المجال ، قال تعالى (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر..... إلى قوله تعالى لآيات لقوم يعقلون) البقرة / 164.

ومن خلال ذلك بدأ النبي الكريم يربي المسلمين على تقوى الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، ويهيئ الصفوف لجهاد أعداء الله ، فأنكب الجميع على كتاب الله تعالى يتلونه حق تلاوته ويحفظون سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويحرمون الحرام ويحللون الحلال ويبتعدون عن الشبهات ويربون الأجيال الجديدة على معاني التوحيد والعزة الإيمانية.

وهكذا حملوا راية الإسلام بصدق ، وواجهوا الأمم بشجاعة وأمانة ، ونشروا الإسلام من خلال الأسوة الحسنة والأخلاق الرفيعة ، واستحقوا بذلك وصف الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران / 110[22].

ولذلك فان انشغال الأمة بأزمة مرحلية في العقيدة أو الشريعة أو التربية ، لايمكن أن ينسينا تكاملية الإسلام لاسيما في عصرنا الحاضر .

ولم يعد بإمكان أحد أن يأتي بعد ذلك فيضع منهجا أحاديا في العقيدة وحدها أو يفتت الشريعة الكاملة، أو أن يصور الإسلام منهجا روحانيا أو أخلاقيا خالصا فيدعو إلى من خلاله إلى الرهبانية التي أنكرها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ومن هنا فقد صدق من قال : إما الإسلام كله ، أو لا يكون هناك إسلام.

ولذلك فإن موضوع فهم الدين ومصدره الأصيل القرآن الكريم فهما أصوليا شموليا يحتاج إلى علماء راسخين ، ولا يقوى على ذلك حفظة النصوص أو الفقهاء المقلدون ، إنما يقدر على ذلك الفقهاء المجتهدون .

ولذلك كانت مصادر علم الصحابة تتمثل بالقرآن مقدمه ومؤخره وناسخه ومنسوخة ، ومجمله ومبينه ، ومطلقه ومقيده ، وكانوا أعلم الناس بسنة نبيهم ، وهم بمجموعهم نقلوها عن واحد منهم فقط ، فعلمهم كان علما شموليا ، ولذلك استطاعوا أن يواجهوا أمور الحياة فيؤسسوا دولة وحضارة أنارت للدنيا طريق الحق والعدل.

وقد أدرك التابعون هذه الحقيقة الواضحة ، فلازموا الصحابة الكرام وأخذوا عنهم القرآن والسنة واللغة وطرق استنباط الأحكام ، واستطاعوا في ضوء ذلك الفهم الشمولي أن يحولوا الوحي الإلهي إلى حركة وتغيير وحياة من خلال المعرفة الدقيقة بمقاصد الشريعة .

وكانوا يعلمون من جهة أخرى الفرق الكبير بين الثابت والمتغير ، فالعقيدة ثابتة وواضحة والأخلاق ثابتة وواضحة ، وأصول الأحكام وقواعدها ثابتة وواضحة ، لا يدخل عليها التغيير في قضايا الدنيا والسياسة والاقتصاد وكثير من مظاهر تطور المجتمعات[23].

وهذا لا يعني أن العصر الحاضر غير متسع فيه للاجتهاد في أمور الدنيا ، غير أن الذين يقومون بهذا الاجتهاد ، لابد أن يكونوا علماء راسخين لا أنصاف علماء، ولا مجرد حفظة نصوص ، فهؤلاء لا علم شمولي لهم بالإسلام ولا بأصوله وقواعده ، هؤلاء لاحق لهم في الفتوى ، لأنهم إن فعلوا ذلك ، فسيضل المسلمون، بتقديم القضية إليهم من خلال نص واحد ، لا يعرفون غيره ، أو يتوهمون أنه هو الصحيح وحده ،دون التفقه الكامل في دين الله تعالى.

إذن فعلماء الإسلام يومئذ انطلقوا من ثقافتهم الشمولية ومن حركتهم في الحياة ، ومن عدم قعودهم في بيوتهم وصوامعهم واندمجوا في الحياة ،وقاوموا الحضارات الغازية المخلفة لأصول السلام مقاومة علمية رفيعة المستوى.

ولقد ميَز ابن تيمية رحمه الله تعالى الصادقين من أصحاب السلوك القويم من الكاذبين المدعين في كتابه القيم (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)[24]، فعد الصالحين من شيوخ أهل السنة والجماعة.

وأما في العصر الحديث، وعندما انتهينا إلى فراغ حضاري بفعل التخلف والتهاون وخروجنا من منظومة الحضارة الإسلامية، احتلت الحضارة الغربية بلادنا وضغطت على أفكارنا، ونشرت مبادئها الإلحادية والمادية والعلمانية في التربية والتعليم بخاصة، وحياة المجتمع بعامة، وحاولت القضاء على الشخصية الإسلامية[25].

وبما أن الإسلام هو في أصله ومقاصده دين الوحدة العقيدية والشمولية العملية، فانه يسعى لتزكية الإنسان ورفعه في جميع أبعاده الدنيوية والأخروية، يتمسك بالجذور الثابتة ويزدهر في الفروع المتنامية.

وأما مصير الإنسانية وحضارتها، فانه لا يفلت من إحدى النهايتين: إما هلاك في ظلمات الطاغوت ' وإما حياة في طريق النور وسعادة الإيمان، قال تعالى (قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لانفصام لها والله سميع عليم) البقرة /256[26].

كل هذا التحدي أدى إلى ظهور علماء مجددين ربانيين، أعادوا سيرة العلماء الأولين، وتثقفوا بثقافة إسلامية صافية حقيقية متكاملة متوازنة، وواجهوا مشكلات الأمة وتحولات العالم وحملوا هموم الإسلام، وفهموا حقائقه، وأدركوا حركة العصر ومؤامرات الأعداء.

وهؤلاء الأئمة المجددون منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجري، في كل بلاد الإسلام ألفوا وجاهدوا وأحدثوا حركة مباركة ونهضة إسلامية شاملة، كتبوا في العقيدة، وبينوا أسرار الشريعة، ودعوا إلى الأخلاق القويمة، من خلال منهج وفهم شمولي جامع، وفضحوا مخططات الأعداء، وألفوا تفاسير حديثة للقرآن الكريم، وحاولوا أن ينظروا إلى صراعات ومشكلات العصر من خلال كتاب الله وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم. فبنوا بذلك فكرا إسلاميا رصينا مبنيا على أصول وضوابط الإسلام، لأنهم كانوا علماء وفقهاء ومفكرين صادقين[27].

ولذا فان هذا الفهم والمنهج الشمولي ، لابد أن يقود حركة الإنسان المسلم ومجتمعه في صنع التغيير المستمر والحضارة المتجددة ، كي لا يتخلف عن ركب الأمم، بل يتفوق عليها، إيمانا بالتوحيد الخالص والعبودية الكاملة لرب العالمين ، وانطلاقا من مسؤوليته الكونية الشاملة،من حيث كونه خليفة الله ، كلف بقيادة حركة الحياة وأداء حق الأمانة في الأرض.

وهكذا فان الاجتهاد والفهم الشمولي للنص الإسلامي هو عماد النهضة الدينية والحضارية، وهو مسؤولية عامة يشترك فيها كل من آمن برسالة العلم ورسالة الدين من فقهاء ومفكرين واقتصاديين وطبيعيين وسياسيين وعاملين (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) التوبة/105.

ثانياً : شمول الشريعة الإسلامية لجوانب الحياة الإنسانية:

من مظاهر شمول الشريعة الإسلامية إحاطتها بجميع مجالات الإنسان ومراحل حياته، فلم تترك من ذلك جانباً إلا بحثته، من ولادته، وطفولته، وشبابه وكهولته، وشيخوخته، ومجالات نشاطه المادية والروحية، والفردية والجماعية والثقافية والفكرية والسياسية والاقتصادية والدينية والدنيوية.

كل ذلك شملته الشريعة الإسلامية بآدابها وتوجيهاتها. يقول العقاد عن الإسلام: (هو العقيدة المثلى للإنسان منفرداً أو مجتمعاً، وعاملاً، ومسالماً ومحارباً ومعطياً حق نفسه، أو معطياً حق حكومته أو حاكمه، فلا يكون مسلماً وهو يطلب الدنيا دون الآخرة، ولا يكون مسلماً لأنه روح تنكر الجسد، ولأنه جسد ينكر الروح أو لأنه يصحب إسلامه في حالة ويدعه في حالة أخرى.. ولكنه هو المسلم بعقيدته كلها مجتمعة لديه، في جميع حالاته سواء تفرد وحده أو جمعته بالناس أواصر الاجتماع ومع الناس في مراحل حياته

- شمول الإسلام لحياة الإنسان:

أولاً: قبل أن يولد الإنسان حافظ الإسلام على التربة التي ينشأ منها وعلى الرحم التي تحمله، وذلك من أجل أن يوفر للطفل جو الطهر والعفاف فحرم الزنا ، قال

تعالى (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) الإسراء /32، وحارب أسباب الفساد والانحراف فطالب المؤمنين والمؤمنات بغض أبصارهم وحفظ فروجهم ، قال تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم...) التوبة /30- 31.

ثانياً: العناية به وهو جنين في بطن أمه من حيث العمل على كل ما يحفظ عليه حياته وبقائه وكل ما يتعلق به من أحكام، ولذا أباح الإسلام للحامل الإفطار في رمضان إذا خافت على مولودها، قال تعالى: (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) البقرة / 84.

ثالثاً: وضعت الشريعة الأحكام الخاصة بطفولته من حيث تسميته والعق عنه ورضاعه وفطامه، قال تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف..) البقرة/ 33.

رابعاً: رسمت له منهج الحياة التي يسير عليها في شبابه وكهولته وشيخوخته ووضحت علاقته بربه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بأخيه المسلم وعلاقته بالإنسان وعلاقته بالكون، وعلاقته بالحياة.

خامساً: حتى بعد موته بينت أحكام الشريعة الإسلامية أحكام الميراث والدفن والصلاة عليه، وغير ذلك مما هو مفصل في كتب الفقه الإسلامي.

سادساً: خاطب الإسلام الإنسان بوصفه فرداً مستقلاً له كيانه الخاص، وإرادته المطلقة في حدود ما شرع له، ثم بوصفه عضواً في جماعة يتحمل المسئوليات معها، ويشاركها في النتائج، بينما نجد العقائد الحاضرة والمذاهب الفاسدة تعمل على إذابة الفرد في الجماعة كما عملت الشيوعية.

ولكن أنظمة الإسلام اتسمت بالشمول مخاطبة الإنسان بجانبه الذاتي الاجتماعي فهي تعترف بوجود الإنسان الذاتي كفرد مستقل له وجوده الشخصي وله معطيات هذاالوجود وله الإرادة الكاملة، والحرية الشاملة في حدودها رسم له، وله الأثر البالغ في بناء الجماعة[28].

- الشمول والجزئيات:

1- إن الشمول الإسلامي الذي يضم العقيدة والشريعة والأخلاق والآداب والتشريع والمعاملات والنظم والحضارة... الخ – لا يعني أن الإسلام جاء بتفصيلات كاملة لجزئياتها، وفصل كل شيء فيها تفصيلا.

فهذا غير صحيح، وهو ليس من الدين ولا الواقع في شيء.

إن عناية الإسلام إنما هي بالكليات والمقاصد والقواعد الأساسية والأحوال وفيما عدا ذلك يتخذ الإسلام أحد طريقتين:

أ- إما أن يترك الأمر للناس، ويسكت عن الحكم فيه، رحمة بهم وتوسيعاً عليهم، من غير نسيان ولا إهمال، وهذه هي المنطقة التي سميناها (منطقة العفو) أخذاً من الحديث النبوي الذي رواه أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفوا، فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئاً)، ثم تلا: (وما كان ربك نسيا) مريم/ 64.

وهنا تختلف اجتهادات الفقهاء لملئ هذه المنطقة بما لديهم من أدوات ومن اجتهاد ، إما عن طريق القياس على المنصوص عليه بشروطه أو بطريق الاستصلاح أو الاستحسان أو الاستصحاب أو غير ذلك من الأدلة التبعية التي أخذ بها من أخذ – ورفضاً من رفض، توسع فيها قوم، وضيقه آخرون.

ب- وإما أن ينص عليها نصاً إجمالياً، على معنى أنه لا يتعرض للجزئيات والتفصيلات الكثيرة المتنوعة والمختلفة باختلاف الزمان والمكان والعرف والحال، ولهذا عرف باستقراء أحكام الشريعة ونصوصها: تفصل فيما شأنه الثبات وتجمل فيما شأنه التغيير.

ولهذا نجد موضوعاً مثل شئون الأسرة من زواج وطلاق ومواريث، ونحوها فيه كثير من التفاصيل من أحكامه في القرآن والسنة لأن شأن الأسرة هو الثبات، وعدم الخضوع للتقلبات والتغييرات.

على حين نجد موضوعاً مثل نظام الحكم. وما يتعلق بتكوين الحكومة وشكلها، وكيفية الشورى .. الخ جاء في الإسلام مجملاً غير مفصل ، لأن مثل هذا الموضوع قابل للتطور والتغيير بتغير الزمان والمكان وأحوال الإنسان، فالإلزام بصورة أو أحكام مفصلة فيه يعوق المجتمع، ويجمد حركته، ويقيد حريته.

- **الشمول لا يعني إهمال مراتب الأعمال:**

2- إن شمول الإسلام للعقائد والعبادات والأخلاق والآداب والمعاملات والنظم الاجتماعية المختلفة، لا يعني أن هذه الأمور كلها في مرتبة واحدة، بل هي متفاوتة بيقين في منزلتها في الدين، كما أن في داخل كل منها ما يعد من الأصول، وما يعد من الفروع، ما هو من الأركان وما هو من المكملات، وما هو من الفرائض وما هو من النوافل،و ما هو قطعي وما هو ظني، وما هو متفق عليه وما هو مختلف فيه، وما هو في مرتبة الضروريات وما هو في مرتبة الحاجيات وما هو في مرتبة التحسينات على حد تقسيم الأصوليين.

وهذا أمر مهم جداً حتى يأخذ كل عمل مرتبة، وتأخذ كل مرتبة حكمها، ولا تذيب الفواصل بين الأعمال بعضها ببعض، كما يفعل بعض الناس الذين يعاملون الفروع معاملة الأصول. والسنن معاملة الفرائض، أو المكروهات معاملة المحرمات، والأمور المختلف فيها كالأمور المتفق عليها، والظنيات كالقطعيات، ولهذا تضطرب أحكامهم وتختلف، ويختلط عليهم الأمر ويبتعدون عن سواء السبيل.

ويقول د .القرضاوي:

(من فقه الأولويات: مراعاة النسب بين الأعمال والتكاليف الشرعية لان الإخلال بالنسب التي وضعها الإسلام للتكاليف الشرعية يحدث ضرراً بليغاً بالدين والحياة).

إن العقيدة في الإسلام مقدمة على العمل لأنها الأساس، والأعمال هي البناء، ولا بناء بغير أساس.

وبعد العقيدة تأتي الأعمال متفاوتة تفاوتاً بعيداً وقد جاء في الحديث: (إماطة الأذى عن الطريق صدقة)[29] رواه مسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والقرآن يبين لنا أن الأعمال تتفاضل عند الله وليست في درجة واحدة، يقول الله تعالى: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين ❖ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند

الله وأولئك هم الفائزون) التوبة /- 2019، ولهذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أن جنس أعمال الجهاد أفضل من جنس أعمال الحج.

بل ذكر فقهاء الحنابلة وغيرهم أن الجهاد أفضل ما يتطوع به من أعمال البدن. وفي فضل الجهاد جاءت أحاديث كثيرة منها ما رواه أبو ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال: (الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله) متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: لمن أراد الاعتزال للعبادة: (لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً)[30].

وفي فضل الرباط جاء حديث سلمان مرفوعاً: (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه وامن من الفتن)[31] رواه مسلم.، وهذا ما جعل إماماً مثل عبد الله بن المبارك(ت 181 هـ) وهو في أرض الرباط يكتب إلى صديقه الفضيل بن عياض الزاهد العابد، وهو ينتقل بين الحرمين مكة والمدينة متعبداً.

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك بالعبادة تلعب

من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب[32]

كما ذكره غيره من المؤرخين.

ومن المقرر فقهاً: أن النافلة لا يجوز تقديمها على الفريضة، وأن فرض العين مقدم على فرض الكفاية، وأن فرض الكفاية – الذي لم يقوم به أحد أو عدد يكفي – مقدم على فرض الكفاية الذي قام به من يكفي ويسد الثغر. وأن فرض العين المتعلق بالجماعة والأمة مقدم على فرض العين المتعلق بحقوق الأفراد، وأن الواجب المحدد الوقت، والذي جاء وقته بالفعل، مقدم على الواجب الموسع في وقته.

ومن المقرر كذلك أن المصالح المقررة شرعاً متفاوتة فيما بينها، فالمصالح الضرورية مقدمة على الحاجية والتحسينية، والمصالح الحاجية مقدمة على المصالح المتعلقة بالأفراد عند التعارض، وهنا نجد فقه الموازنات يلتقي فقه الأولويات.

إن آفة كثير من فصائل الصحوة الإسلامية هي غياب فقه الأولويات عنها فكثيراً ما تهتم بالفروع قبل الأصول، وبالجزئيات قبل الكليات، وبالمختلف فيه قبل المتفق عليه، وتسأل عن دم البعوض، ودم الحسين مهراق، وتسير معركة من أجل نافلة، وقد ضيع الناس الفرائض، أو من أجل شكل أو هيئة دون اعتبار للمضمون. وإن فقه الأولويات: أن نعرف أن القضايا تعطي من الجهد والوقت أكثر مما يعطي غيرها[33].

وقد أنكر الإمام الغزالي في (الإحياء)[34] على بعض فرق العباد والمتصوفة غرورهم ببعض أنواع العبادة دون مراعاة لمراتب الأعمال والطاعات، ومنزلة بعضها من بعض من حيث أن فيها النافلة، وفرض النافلة وفرض العين، والفرض المحدد وقته، والفرض الموسع فيه، والفرض المتعلق بالفرد، والفرض المتعلق بالأمة.

ومن الكلمات المعبرة هنا للغزالي: ترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرر. لأن شمول الإسلام لكل جوانب الحياة لا يعني تضييع النسب بينها والإخلال بمراتبها الشرعية، كما جاء بها الإسلام، وهذا هو الفقه حقاً (ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[35].

ولذلك يتوجب على من يتصدى لتفسير القرآن وفهم النص القرآني أن يتحلى بجملة شروط.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

الخاتمة:

أن الفهم الشمولي للنص القرآني هو فهم السلف الصالح لكتاب الله تعالى لكونه دستوراً شاملاً لكل ما يحتاجه العباد في كل زمان و مكان ، و واقعنا المعاصر يحتاج إلى هذا المنهج الحكيم في فهم القرآن لكثرة المستجدات و المشاكل و التوجهات الفكرية و العقدية المعادية للإسلام و المسلمين.

إن النصوص القرآنية تتماشى مع مختلف الثقافات والعقول وتعطي كل إنسان على قدر فهمه وإدراكه مما استوعبه من كتاب الله الكريم.

وكما رأينا إن العالم يمر بعدة تحولات غيرت مجرى حياة البشرية إن هذه التحولات كثيراً منها ما يؤثر على السلوك البشرى لكن النصوص القرآنية تتصد ى لهده التحولات وتساير منها ما يتماشى والروح الإسلامية والإطار الإسلامي الذي لا يخرج عن جادة الصواب ويهيئ للأمة أرقى الوسائل للعيش الكريم ومن الله تعالى التوفيق والسداد.

الهوامش:

1- د. علي عبد الحليم محمود: مع العقيدة والحركة والمنهج ، في خير أمة أخرجت للناس ص93.
2- د. محمد عبد اللطيف صالح الفرفور : خصائص الفكر الإسلامي ص14.
3- الفيروز آبادي : القاموس المحيط 110/2 .
4- أبو حيان التوحيدي الأندلسي : تفسير البحر المحيط 13/1- 14 .
5- الفيروز آبادي: القاموس المحيط 231/3 .
6- أساس البلاغة للزمخشري ، و انظر معجم مقاييس اللغة لأبن فارس ، ج1 ص159.
7- أساس البلاغة ص486.
8- لسان العرب لأبن منظور ج10 ص342
9- لسان العرب ج7 ص203 .و انظر أساس البلاغة ص338.
10- مقدمة في أصول التفسير لأبن تيمية ص8 بتصرف.
11- المصدر السابق ص10 و ما بعدها بتصرف .
12- التفسير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، ص7 وما بعها بتصرف.
13- التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، ص22، 23.
14- د/الإتقان في علوم القرآن للسيوطي .
15- انظر على سبيل المثال تفسير عبد الرزاق ج1 ص96 .
16- تفسير عبد الرزاق ج1 ص99 .
17- تفسير عبد الرزاق ج1 ص101 .
18- تفسير عبد الرزاق ج1 ص19 .
19- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج4 ص185 .
20- سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 113 .
21- مشكاة المصابيح رقم 3956 .
22- د/ محسن عبد الحميد : المنهج الشمولي في فهم الإسلام ص15 .
23- د/ محسن عبد الحميد : مصدر سابق ص 16- 21 بتصرف .
24- المصدر السابق ص 30، 32 .

25- الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان ، إبن تيمية ص 134 .
26- د. محسن عبد الحميد . ص 35 – 37 بتصرف .
27- د/ أحمد عروة : العلم و الدين، مناهج و مفاهيم ص 182 – 183 .
28- د/ محسن عبد الحميد : مصدر سابق ص 39 – 40 .
29- د/ محمد أمين محمد بن عامر : خصائص الدعوة الإسلامية ص 235 .
30- أحمد بن حنبل ج5 ص23، الدر المنثور ج1 ص147 ، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 1558 .
31- رواه الترمذي وقال حديث حسن رقم 1650، أحمد بن حنبل ج2ص454.
32- البيهقي ج9 ص16.
33- إرواء الغليل،1200.
34- سير أعلام النبلاء ،ج7 ص628.
35- فقه الأولويات ، د. يوسف القرضاوي ص141 و ما بعدها.
36- إحياء علوم الدين الغزالي ج1 ص186.
37- د/ يوسف القرضاوي : نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام ص113.